# الاتجاهات الحديثة في التربية

## ( احدى محاضرات نقابة المعلمين التى ألقيت فى دار العلوم )

## (١)

١ — مقدمة

أحاول فى هذه المحاضرة بيان أهم مميزات التربية الحديثة ومناحى التفكير والعمل فى الدوائر المشتغلة بها . ولما كانت مجهودات الامم في هذا الباب عظيمة متعددة كان من الصعب الاحاطة بها جميعا فى محاضرة أوعدة محاضرات . لهذا سنقنع بأجال مانراه أوضحها أثرا ، وأجلها خطرا. ولن نعرض للتفاصيل الا حيث تمس الحاجة لايضاح فكرة ذات بال

ولا احسبنى بحاجة الى ذكر أهمية متابعتنا التطورات في التربية ولا سيما فى هذا الوقت الذى نشتغل فيه باصلاح انظمتنا ووضع أسس جديدة لنهضتنا فأن هذا يتطلب منا أن ننظر لكل تلك الامور فى ضوء الآراء الحديثة . اننا لن نستطيع في حركاتنا الاصلاحية أن نفعل أكثر من السير وراء الامم التي نتطلع لمساماتها وبلوغ مثل منزلتها في الرقي — وليس في هذا ضير اذا أحسناه — بل هو الطريق الطبيعى لكل من بدأ نهضته متأخرا مثلنا ، فأن مسالك الرقي قد مهدت له وذللت بفضل مجهودات تلك الامم الاجيال الطوال ومن المعروف عند الطبيعيين أن السير يتجه دائما في الطريق الاقل مقاومة

على أن هناك خطراً يجب أن نحتاط له ونحن ننقل تلك الانظمة الحديثة وهو أن نسيء فهمها فننقلها مشوهة مقلوبة أو نخلط بين ماهو أساسى فيها وما هو ثانوى فنغرق فى بحر من التفاصيل المتفرعة عنها

وننسى روحها واصولها . مثل هذا النقل ينتج ضررا كبيرا وخير منه أن نحتفظ بفطرتنا وتراثنا الفكرى القليل ولو أدى ذلك الى اثقال خطانا وبطء تقدمنا.

النقل المثمر يقتضى أن نتعمق الى أصول الانظمة ونتشرب روحها ونعنى بجوهرها لا بمظاهرها السطحية ثم نؤقلمها ونلبسها لباسنا ونطبعها بطابعنا القومى فتصير جزءا من كياننا لا زائدة صناعية متصلة بنا

ومن أجل هذا أرانى مضطرا الى أن أرجع الميزات الظاهرة فى التربية الى أصولها العامة وأجعل عنايتى بوضوح طبيعة تلك المبادىء والتطورات التى سارت فيها فوق العناية بالتفاصيل التطبيقية التى تبعثها

٢ — أصول التربية الحديثة

أقوى العوامل المؤثرة فى التربية الحديثة ثلاثة :

المباحث النفسية

طريقة العلوم الطبيعية فى البحث

الآراء الاجتماعية الحديثة

من هذه الاصول الثلاثة تستمد روحها ومزاياها وان تنازعت الغلبة والسيادة ورجحت كفة كل منها فى فترة من فترات العصر الحديث

وليست هذه الاصول منفصلة متنافرة بل هى فى الواقع مشتبكة متضامنة وهى تتفاعل على الدوام فى نسب مختلفة والمهمة الابدية هى تصحيح تلك النسب بما يتم معه تمتع الفرد باقصى مايستطاع من الحرية الذاتية مع ضمان استقرار المجتمع وسلامته من التقلقل والتزعزع

٣ — المباحث النفسية

أما المباحث النفسية فترمى الى فهم طبيعة العقل الانساني وعمله فى أدوار نموه المختلفة وخاصة عقل الطفل الذى هو دراسة أساسية في التربية ومع هذا فلم يتنبه الناس لها الا قبيل القرن التاسع عشر . ويعتبر روسو بحق الملهم لها ، فقد اعتبر التربية عملية تطور طبيعى للقوى الموروثة في الطفل ، وقرر أن مهمة المربين سلبية لاتمدو تمكين هذه القوى الطبيعية من النمو والترعرع بأزالة العقبات التى تعترضها وتحريرها من الاغلال الصناعية التى فرضها الناس عليها ، وبهذا خالف ماجرى عليه الناس من قبله من اعتبار التلقين الخارجى هو كل شيء في التربية . وقد كانت دعوة روسو الى تحكيم الحس والمشاهدة والرجوع الى الطبيعة دعوة قوية حارة وجدت لها أنصارا أقوياء يمتازون على روسو بأنهم انشائيون هادئون لاهدامون ثائرون تفطرت عقيدة التطور فى أذهنهم بعد أن خلصت من شوائب الغلو والتطرف واستبقوا من القديم مايتفق مع هذه العقيدة . بدءوا يدرسون الطفل ويتفهمون قوانين تطوره على أساس جديد . كانت المباحث النفسية قبل ذلك مباحث فيما وراء الطبيعة فالنفس أو العقل كان ينظر اليه كأنه شيء منعزل عن الجسم ذو طبيعة خاصة وان يكن أودع فيه بكيفية ما ، فاصبح النظر الجديد أن الجسم والعقل متصلان مرتبطان ارتباطا وثيقا وأن الظواهر العقلية يمكن فهمها لابالتأملات الفكرية السابحة وراء المادة بل بالملاحظة الحية والتجربة العملية . وبهذه العقلية بدأ بستالوزى مذهبه الجديد فى التربية وتبعه هربارت وفروبل فأحدثا فيها مالا تزال آثاره باقية حتى الساعة فى التربية واغراضها وطرائقها وقيم موادها .

ولا أود ان استعرض تاريخ كل من هؤلاء المصلحين، وتفاصيل مذهبهم فذلك مايعرفه أكثر المعلمين مما درسوه فى تاريخ التربية ولكنى أوجز ذكر العناصر المميزة فى كل مذهب، ثم أنتقل الى وجه تأثيره فى الوقت الحاضر

كان عمل بستالوزى أوليا غير دقيق ولكنه كان فاتحة التربية الحديثة وهذه اهم آثاره فيها

ا . في غرض التربية : الغاية عنده اصلاح المجتمع بما ينتج معه الفضيلة فى الافراد والعدالة في الحكومة ، ولا يتم هذا الا بتربية جميع افراد المجتمع تربية عامة واسعة مبنية على التطور الطبيعى المستمر المتوازن لسائر قوى الفرد وملكاته

ب . فى طرق الدراسة وموادها :

( ١ ) الادراك الحسى وملاحظة الاشياء المادية التى تقع فى متناول حواس الطفل أساس التعليم

ومن هنا كان أظهر شىء فى طريقته العناية بدروس الاشياء وبالتعليم الشفوى

وقد يكون من المفيد أن نرى مابقى من دراسة الاشياء في العصر الحاضر . أن بعض أتباع بستالوزى قد جعلوا دراسة الاشياء من بعده غاية لا وسيلة وبوّبوها ونظموها فأزهقوا بذلك روحها وأضاعوا قيمتها.

الا ان هذه الدراسة المبوبة كانت فنطرة لمبادىء العلوم الطبيعية وهي التى صارت فى أواخر القرن التاسع عشر جزءا

من كل مناهج الدراسة

وهذه الاخيرة بدورها قد اخلت مكانها في القرن العشرين لما نسميه « دراسة مشاهد الطبيعة » وهى دراسة لاتجعل ملاحظة الاشياء خاضعة للتقسيم العلمى. بل تجعل التقسيم العلمى خاضعا وتابعا لما يلاحظه الطفل ويدرسه من الاشياء التى تثير فيه اهتماما ذاتيا

(٢) من أمهات المسائل فى طريقة بستالوزى حقيقة يعرفها كل مدرس وهى السير فى التعليم من البسيط الى المعقد :

وأم تطبيقاته لهذه القاعدة في الحساب عدم اعطاء التلاميذ أى اعمال تحريرية حتى يطمئن الى تقدمهم في الموضوع تقدما يسمح بذلك وقصر العمل على تدريب شفوى عقلى زمنا طويلا . وزيادة فى حرصه على أن يكون مايعلمه التلميذ فى هذا ليس مجرد لفظ العدد بل مدلوله جعل كل العمليات الحسابية الاولى تعلم باجرائها على أشياء محسوسة . وفي الجغرافيا جعل بدايتها الجغرافية المحلية فيكون فناء المدرسة والقرية والنهر القريب ووادية مقدمة لفهم الأرض جميعها بعد ذلك . وفي اللغات أحرز تقدما محسوسا بحرصه على أن يعبر التلميذ عن نفسه ولكنه في القراءة سار على قاعدة المقطعات مخالف بذلك مبدأه وهو السير من البسيط الى المعقد ومن المعروف وهو الجملة التى يستعملها التلاميذ في أحاديثهم الى المجهول وهو الحروف التى ليست سوى رموز

اصطلاحية لايفهمها الطفل . وفي الرسم رفض أن ينقلوا عن نماذج وعنى بالخطوط والزوايا والمنحنيات ثم سار منها الى الاشكال الهندسية والنماذج والاشياء وهنا ايضا يبدو انحرافه عن مبدئه

ج — فى روح العلاقة بين الاستاذ وتلاميذه

ومن آثاره الخالدة فى سياسة التلاميذ ماقرره من أن العلاقة الصحيحة التى يجب أن تسود بين المدرس وتلاميذه هى المحبة والعطف وقد أفلح فى جعل ذلك حقيقة عملية فى مدارسه فاصبحت اماكن سرور لامعاهد ذعر ورهبة . وليس من شك أن فكرة تطور قوى الطفل من طبيعتها زيادة قيمته واحترام شخصيته وهذا التقدير يؤدى الى الى شعور الطفل بالاطمئنان الى المدرسة والثقة باستاذه واحترامه ومحبته بعكس فكرة التلقين التى لاتقيم لشخصية الطفل وزنا وتفرض عليه معلومات وعبارات يستظهرها راضيا أو كارها بكل مايقتضيه هذا الاخضاع من القسوة والشدة . والواقع أن بستالوزى كان يصبو الى جعل المدرسة قريبة من المنزل في عملها والروح السائدة فيها

وأما هربارت : فقد كانت مجهوداته متممة لمجهودات بستالوزى وان كانت تختلف عنها وتمتاز بدقتها ووضوحها مما خلدها حتى الساعة فى عالم التدريس .وهذه أهم مميزات مذهبه :

١ — فى غرض التعليم

غرض التربية تحقيق الغاية الادبية للحياة أى تكوين الخلق أو الشخصية وهو لاينظر لهما بمثل مانظر اليها روسو من أنها تنمية الفطرة

الخاصة لكل فرد ولا بمثل ما نظر اليها بستالوزى من أنها تنمية سائر الملكات فى الطفل نموا متوازنا بل لقد رفض نظرية الملكات فى علم النفس ونتائج تطبيقها فى التربية . هو يعتبر الفرد كائنا اجتماعيا ويعلم أن بواعث الاهتمام الاجتماعية كثيرة متشعبة ومهمة التربية كشف افضلها ثم تربيتها في الطفل وظاهر ان مثل هذا النظر يؤكد قيمة التلقين الانسانى واهميته . وبداية تحقيق غرض التربية هذا أن يربي في الطفل اهتمام متعدد النواحى

٢ — فى مادة الدراسة

ان بواعث الاهتمام لدى الانسان تأتي من طريقين تجربته للاشياء المحيطة به واتصاله بالناس واذن فهناك بابان من أبواب التعليم : العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية بما يتصل بها من نتائج التطور الاجتماعى ومع عظم أهمية الفرعين فلا شك أن العلوم الاجتماعية أكبرها قيمة لعلاقتها بالحياة الانسانية وغايتها الخلقية والدائرة الفكرية لهربارت هى أن الاتصال بالاشياء والمجتمع يوجد العلم بها وهذا العلم يتحول الى آراء ومبادىء وهذه الآراء تتحول الى أعمال وتصرفات وهذه التصرفات تكوّن الذاتية أو الشخصية

٣ — طرق التدريس

ا — الاهتمام أو الشوق

ليس كل تعليم ذا قيمة في التربية ولكي يكون كذلك يجب أن يبعث الشوق والاهتمام الذى يقصد بالتربية ايقاظه . الشوق هو روح التلذذ والسرور الذى يصحب تلقى العقل لفكرة خاصة وهو يقاس بمقدار الطاقة التى يظهرها الشخص فى اصطياد الفكرة واعتناقها . بهذا

الشوق والاهتمام يتحقق الانتباه فلا يلجأ الى مؤثرات خارجة لايجاده

ب — تمثيل المعانى (أو كما يسميه بعض اخواننا بالادراك الحسى الكامل)

لكى يهتم الطفل بما يلقى اليه يجب ألا يكون بعيدا عن تجاربه والا بدا صعبا غير ممكن الهضم انما يتم فهم المعانى الجديدة متى كان لدى الطفل ثروة فكرية سابقة كافية يوقظ منها ماله صلة وارتباط صحيحان بالمعانى الجديدة وتحرك حالة عقلية خاصة يتم معها تفاعل القديم والجديد وهضم الجديد فى المعدة العقلية وجعله جزءا من كيان الكل الفكرى للطفل

جـ — الطريقة العامة :

الخطوات المألوفة وهى مبنية على ما أوحت اليه فكرة تمثيل المعانى من طريقة تلقى العقل للمعلومات وتمثيلها.

وهذه الخطوات تختلط في بعض اذهان المعلمين البادئين بروحها ويحسب أنها هى « البيداجوجية » العملية ويتكلف فى السير عليها فى كل درس بما أصبحت معه شكلية معطله للتدريس

د — ارتباط مواد الدراسة

يرى هربارت أن من الضرورى وضع برنامج الدراسة بحيث يحقق وحدة الحياة لادراك الطفل وبهذا يقوى الاهتمام المتعدد النواحى. يجب أن تتعاون المواد جميعا بحيث لايحس الطفل باستقلال الآراء الصادرة من علم عن آراء العلوم الاخرى

نتائج حركة هربارت

(١) اهمية التعليم المدرسى فى التربية الخلقية وضرورة الاعتماد على التلقين الانسانى أكثر من الاستعداد الفطرى فى تحقيق هذا الغرض

(٢) ضرورة وجود طرق تدريس صحيحة مبنية على العلم بكيفية عمل العقل وتمدده

(٣) اهمية المدرس فى عملية التربية والحاجة الماسة لعناية كبيرة فى اعداد المدرسين

وقد كان اكبر اتباع هربارت فى المانيا الاستاذ تويسكن زيلر بجامعة ليبزج وهو أقوى من دعا الى آرائه وقد غير فيها تغييرا كثيرا فحول فكرة ارتباط الدراسة الى تركيز الدراسة حول مادة واحدة يكون لها أكبر قيمة عملية وجعل باقى الدراسة تابعة لها منبعثة عنها وقد اعتبر زيلر التاريخ والآداب صالحين لهذ الغرض ونظم للدراسة فى السنوات الثمانية وهى مدة الدراسة الاولية برنامجا تاريخيا يحقق تلك الفكرة وقد نبتت من هذه الفكرة نظرية وضعها هذا الاستاذ وهى نظرية أدوار التثقيف وليست الا تطبيقا تعليميا لنظرية الأعادة التى تقول ان الفرد فى نموه الجسمى يسير من الجنين الى الشاب فى نفس الادوار التى مر فيها النوع فى تطوره واذن لكى تطابق هذا السير في التطور النفسى للطفل يجب أن تختار مواد الدراسة وتنظم طبقا لادوار التثقيف التى مر بها الجنس البشرى . ومع أن النظرية وجدت انصارا أقوياء كهربرت سبنسر في انجلترا واستانلي هول في الولايات المتحدة فقد ظلت فكرة أكاديمية صعبة التحقيق عمليا ولا سيما في التربية الخلقية الدينية

التى كانت غالبة على هؤلاء المصلحين الالمان

ومهما يكن من أمر الحركة الهربارتية الآن فأنها بلا شك ظلت الى عهد قريب كبيرة السيطرة على التعليم '

فلننتقل الآن الى فروبل صاحب فكرة « روضة الاطفال» ونذكر اهمية مميزاته وآثاره

فى غرض التربية : يتفق مع روسو تماما فى ان الغرض تطور الاستعدادات والقوى الموروثة الكامنة في الطفل وان كانا يختلفان في التفسير لأن فروبل كان شديد الايمان بالله وروسو ماديا جاحدا .

طريقة التطور : يتفق مع روسو فى أن الطفل حيوان متصرف لا حيوان متعلم . واهم خصائصه الحركة الذاتية التى تبعثها رغباته وأمياله . وهذه خطوة واسعة سبق بها بستالوزى الذى كان يرى الادراك الحسى عملية ملاحظة ساكنة لازمة . أما فروبل فأكد اهمية التعبير الحركى والتعليم بالعمل باعتباره ذا قوة عجيبة فى التطور وبهذا يجب أن يكون له في تعليم الاطفال محل اساسي بل هو اهم عناصر التعليم

كذلك كان شأن الهربارتيين فقد ذكروا من بين خطواتهم خطوة التطبيق ولكن التعبير بالحركة لم يكن فى طريقة فروبل خطوة واحدة بل كل الخطوات وقد كان اكبر ما ينعاه على تربية عصره أنها تربي التفكير تربية يسبق بها تمثل الافكار بالفعل اما التعبير الحركى فيربي قوة التحصيل والتطبيق معا وبهذا لا ينقطع ما بين الفكر والعمل

﴿ المشاطرة الاجتماعية ومعنى التطور ﴾

سار فروبل روسو فى غايته لا فى وسائله فقد كان يؤمن مع أرسطو

أن الانسان حيوان اجتماعى وأنه لا يحس انسانيته ويحققها الا متضامنا مع الناس وكذلك الطفل لديه شبكة من الغرائز تدفعه الى العمل المشترك . ويتضح هذا لكل من شهد الماب . اذن فمن عهد الطفولة يجب غرس التعاون الاجتماعى لما يتبعه من الفوائد الجسمية والخلقية والفعلية . ان الفصل المدرسى ليس الا المجتمع مصغرا . وبهذه الآراء الثلاثة انشأ روضة الاطفال لتكون مدرسة ملائمة لغرائز الطفل ونزعاته

ولما كان اول مظاهر النشاط الذاتي هو اللعب كانت روضة الاطفال قائمة على اللعب المنظم لغايات معينة في التربية وعلى مساعدة الطفل على التطور بامكانه من اظهار نفسه والتعبير عنها فهو بهذا يأخذ بعض المعلومات عرضا اذ ليس تحصيل المعلومات غرضا في ذاته

ووسائل التعبير التى استعملها فروبل فى روضة الاطفال هى :

(١) الأشارة او الايماء والغناء والانشاء وتتبع اللغة الثلاث جميعا وكلما امكن الجمع بين هذه الطرق جميعا كان ذلك أفضل فمثلا اذا قص المدرس قصة يعيدها الطفل لا بالكلام فقط بل بالتمثيل بالايماء والتلحين بالغناء والانشاء بالورق أو الطين أو الخشب . والمواد المستخدمة في عمل رياض الاطفال تتألف « من ألعاب وأغانى الاطفال » والهدايا والحرف فأما الالعاب والاغاني فخمسون قطعة غنائية موضحة بالصور وتمثل ما يلعب به في حجرة الاطفال كالاختفاء والبحث أو تقلد حرفة كعمل النجار مثلا . أما الهدايا والحرف فتتألف من مواد تثير التعبير بالحركة في الطفل فالهدايا تتالف من مواد ثابتة الشكل كالكرة والمكعب والاسطوانة والعصى . والحرف من مواد قابلة للتشكيل كالرمل والطين والورق

المادي والورق المقوى . واحدث التطورات لها زيادة الاهتمام بالحرف بدلا من الهدايا لانها يتحقق معها حرية أوسع فى التعبير الحركى ويجرى العمل فى روضة الاطفال على أنها مجتمع مصغر يتعلم فيها المواطنون الصغار فهم واجباتهم وحقوقهم وحاجة التعاون والمساعدة المتبادلة

آثار فروبل فى التعليم

ان آثار بستالوزى وهربارت وفروبل مختلطة مشتبكة فى العمل المدرسى اليومى حتى ليصعب تتبع احدهم وتمييزه ، على انه لاشك أن أهم مجارى التفكير فى التربية الاولية فى العصر الحديث تتبع من فروبل . وقد حلت الحقائق محل الرموز فى عمل رياض الاطفال واحسن اختيار المواد وأبواب النشاط . ومع أن كل ما خلفه فروبل هو رياض الاطفال فأن طريقته قد ثبت صلاحها فى أدوار تعليم أرقى من رياض الاطفال وكان تأثيره ظاهرا في بعض امور تستدعى التفاتا خاصا منا

أولا — « اللعب »

ازداد الاعتقاد فى هذا العصر بأن الانسان حيوان عامل لاحيوان متعلم ويرجع هذا الى علم النفس الحديث الذى يقرر أن الشعور والعمل عنصران أوليان في العقل والذكاء نتيجة تفاعلهما ومن هنا صدق تمسك فروبل بقيمة اللعب فى التربية لالمنفعة الجسمية التي كان يدافع عنه بها عادة بل للتربية العقلية والخلقية التى اعتبرها فروبل من أكبر وسائلها وقد حقق هذه الفكرة فى روضة الاطفال ولكن المدرسة تعلمت منه أن اللعب يتيح للفرد فرصة تتفتح فيها نفسه وتتكشف له الحياة الاجتماعية أكثر من أى باب من أبواب النشاط الاخرى . ولهذا كان

للعب فى أشكاله المتعددة منزلة في سائر أدوار التربية الاولية والثانوية والعالية

ثانيا — الاشغال اليدوية

عنى فروبل بالانشاء اليدوى كوسيلة من وسائل التعبير والتطور لافى السنين الاولى من دور الطفولة بل فى سنواتها الاخيرة أيضا فقد وضع هيكل مدرسة اشغال يدوية كان قد أزمع انشاءها فى هلبا بالمانيا ومع ان اناسا آخرين فى نواحى مختلفة كانوا يدعون للاشغال اليدوية فان هناك أمرا جديرا بالالتفات وهو أن نظر هذا المصلح الكبير للأشغال اليدوية يتفق تماما مع أحدث الآراء بشأنه . كان روسو يدعو الى العمل اليدوى ولكن لاسباب اجتماعية واقتصادية . وعالج بستالوزى العمل اليدوى على انه وسيلة للادراك الحسى ليستعين به الطالب على تحصيل العلم . أما فروبل فدعا الى الاشغال اليدوية على أنها طريقة من طرق التعبير ووسيلة من وسائل تنمية قوة الابتكار والانشاء فالاشغال اليدوية التى دعا اليها يجب أن يفرق بينها وبين التربية الصناعية وهي التى نراها في المدارس العامة . الاولى تستخدم القوة الانشائية لاغراض عامة وتعطى لكل طفل بقطع النظر عن حرفته المستقبلة كالجغرافية والحساب تماما والثانية تقصد المهارة الصناعية فى باب معين من أبواب العمل وغرضها ارتزاقى محض

الى هؤلاء المصلحين يجب أن نضيف الدكتورة مونتسورى فهى من نفس المدرسة الفكرية . بدأت مونتسورى حياتها فى التربية كمعلمة لذوي الامراض العقلية ونجحت فى استخدام طريقة سيجون الفرنسى

وهى المبنية على تربية وتمرين اليد فاحرزت نجاحا دفعها الى تعميم الطريقة على الماديين من الاطفال

وهى ترى مع روسو أن الفطرة صادقة حكيمة ولهذا تدعو الى اعطاء الطفل الحرية التامة وتعتبر التربية الحقة هى تربية النفس بالنفس والطريقة العامة في مدرستها ان تضع الاشياء فى انحاء الغرفة المتعددة وتترك للطفل اختيار مايشاء منها ويظل يلعب ويعمل دون تدخل من أى جانب مالم يقلق سواه من الاطفال . وهذه الطريقة من شأنها اعطاء الولد الحرية في العمل باستقلال ولكن المواد مقصورة على عدد محدود من الاشياء يستعمل في طرق معينة . وهذه الادوات المعدة لتربية الحواس وتنمية المقدرة على بعض أبواب النشاط العملى كالباس الطفل نفسه ليست أكثر ملاءمة لمرضى العقول منها للاصحاء . ولا نجد ألعاب فروبل وحرفه ذات القيمة العظيمة في تربية المخيلة والعواطف والاحساس بالتعاون الاجتماعى . والعمل فردى فلايشتغل الاطفال كجماعة والمدرسة هنا ملاحظة مراقبة لاكشأنها في روضة الاطفال حيث تشترك مع الاطفال وتشاطرهم حياتهم . ولقد نجحت منتسورى فى طرق تعليمها القراءة والكتابة والحساب نجاحا فيما .

ومع أنها تأثرت بروح روسو واقتبست من آراء بستالوزى وفروبل فأن عملها ينقصه الباعث الاجتماعى وهو أقوى العوامل الغالبة على التربية العصرية . وقد ألقى الاستاذ عبد الحميد حسن محاضرة فى طريقتها نشرت في صحيفة المعلمين فليرجع اليها من يشاء

﴿ العلوم الطبيعية وآثارها في التربية ﴾

أفردنا لهذه النقطة محلا واعتبرناها أصلا من أصول التربية الحديثة مع تدخلها الى حد كبير فى الناحية النفسية والناحية الاجتماعية لحرصنا على بيان آثار مصلحين كبيرين من رجال العلوم الطبيعية ودعاتها وهما دارون وسبنسر

فلا شك أن نظرية دارون فى النشوء والترقى قد تبعها تغير محسوس فى علم النفس وقد ساعدت هذه النظرية على التوفيق بين مايبدو متضادا فى هربارت وفروبل فهي تتضمن التطور من الداخل والتخير من الخارج فتعتمد من ناحية على طبيعة الكائن الحى . وهذا هو مذهب فروبل ومن ناحية أخرى تتأثر وتسير بالبيئة وهذا جانب هربارت . والحقيقة العليا التى لم يدركها هربارت وفروبل الا ادراكا ناقصا هى ان الكائن والبيئة يتفاعلان لانتاج الغاية النهائية . وان كان من شأن النظرية أن تعطى أهمية لنصيب الكائن الحي في التفاعل . وهذه الروح هى التى أوجدت حركة دراسة الطفل التى بدأت فى أواخر القرن التاسع عشر وكان من كبار الباحثين فيها الدكتور ستانلى هول فى أمريكا وهى حركة وان كانت فى شكلها الاول قد أضاعت مجهودا وشتتت قواها الا أن المسائل التى أثارتها حول العناصر الاولية فى الطبيعة الانسانية وتقدمها بالظروف الاجتماعية لاتزال حتى الساعة محل اعتبار . كذلك كان لمقالات هربرت سبنسر فى التربية أثر محسوس فى تقدم مواد الدراسة فقد قسم نواحى النشاط الطبيعى فى الانسان الى خمس نواحى :

وهى (١) الناحية المتصلة بحفظ الحياة ويلزم لها الالمام بالفسيولوجيا

وعلم الصحة و (٢) الناحية الارتزاقية التى تتطلب كسب القوت . وهى تقتضى معرفة صناعة ما وهذه تستلزم الالمام بالرياضيات والعلوم الطبيعية وعلم الحياة . و (٣) الناحية المنزلية المتعلقة بالحياة العائلية وتربية الاطفال وتقتضى عدا الفسيولوجيا وعلم الصحة معرفة علم النفس والاخلاق و(٤) الناحية الاجتماعية والسياسية وتقتضى معرفه التاريخ وعلم الاقتصاد والسياسة و(٥) ناحية الفراغ التى تتعلق بارواء مطالب الاذواق والعواطف وتقتضى تعلم الموسيقى وفنون الجمال والآداب وهذه تتوقف على فهم علم النفس والصوت والميكانيكا . وقد وازن بين اهمية تلك الدوافع واستخلص منها الى أن العلوم أجلها قيمة واكبرها ضرورة ومع ماغلب عليه من التطرف في هذه الناحيه بترجيحه العقل على القلب واهماله الناحية الانسانية فان أثره كان كبيرا باحلال العلوم الطبيعية منزلة سامية في مناهج لم تكن لها من قبل

ومن آثار الطريقة العلمية فى التربية الحديثة الاعتقاد الغالب الآن بأن الالمام بالحقائق التى يمارسها المربي يجب أن يكون مبنيا على أساس علمي سليم . وهذه العقيدة هي التى أدت الى ايجاد المدارس التجريبية كمدارس الاستاذ ديوى والدكتورة منتسورى وفيهاتوضع آراء التربية الجديدة موضع الامتحان والتجربة وتعدل على حسب ماتدل عليه نتائج الممارسة العملية .

وهي كذلك منشأ علم البيداجوجيه التجريبية الوليد وهو أظهر محصولات القرن العشرين التى أضافها الى التربية وهو يحاول أن يصل الى نتائج دقيقة بوسائل حسابية مضبوطة فى الطرق العملية في التدريس

وفى فهم طبيعة العقل المتعلم

وهذه المباحث ترمى الى اقامة التربية على قواعد علمية دقيقة ترتكز على القياس والاحصاء والحركة تسير فى طريق النجاح وان تكن النتائج التى ادركتها طفيفة ولكن كل حركة جديدة يجب ان يترك لها الوقت الكافى للنمو والارتكاز

أم هذه التجارب الامتحانات النفسية للاستعدادات التعليمية ووضع مقاييس عدية لها .

فمن هذه مقاييس الذكاء العام والذكاء فى ناحية خاصة وهذه المقاييس فى الغالب مبنية على اختبارات لفظية أو حركية فمن النوع الاول مقياس بينيه سيمون وهو سلسلة اسئلة عامة متدرجة مع العمر تدل الاجابة عليها على درجة الذكاء وسرعة الخاطر من نوع الاحاجى والالغاز البسيطة أو كملء مسافات متروكة فى عبارات أو كاظهار السخف فى حكايات من نوع المحاضرات المجونية الظريفة التى كان يلقيها الاستاذ عبد القدوس وآخرون فى حفلات السمر

ومنها مقاييس تقتضى اداء أشياء عملية كأن يؤتى بصورة مقطعة الى أجزاء ويطلب من الطفل اعادتها لحالتها الى اشياء هذا . ومن هذه الامتحانات التى اجراها سيجوان لفحص الامراض العقلية

ومن هذه المقاييس مقاييس لدرجة نجاح مواد الدراسة قائمة على احصاءات دقيقة وملاحظات مستمرة

ومنها مقاييس لتعيين اللياقة المهنية بل لقد بلغ من ذيوع مثل هذه المباحث ان فتحت مكاتب في عدة مدن يستشيرها الطالب فيما يليق له

من الحرف بعد ان يجرى عليه الاختبار وهو عدة أسئلة دقيقة متدرجة تعين وجهة الطالب وميوله

ومنها مقاييس لتعيين الامزجة والحالات الخلقية وهـذه طريقة مبنية على نظريات التحليل النفسانى فيعطى الممتحن عدة كلمات ويطلب اليه ان يقول بسرعة بلا تفكير أول كلمة تخطر بباله عقب سماعه كل كلمة وتراجع هذه على اجابات آلاف من الناس سبق امتحانهم وعرف مزاجهم فيستنبط من تشابه الاجابة تشابه الحالات النفسية

وبالضرورة ستعين كل هذه التجارب واشباهها على دقة فهم كثير من المسائل العقلية والنفسية وفي هذا معونة كبيرة للتربية

﴿ الطرق الاحصائية ﴾

وقد أفلح استخدام الاحصاءات في جمع المعلومات التى مكنت من أحكام غير ظنية على مسائل المدارس . امكن بجمع الاحصاءات ودراستها بدقة فهم كثير من أسباب تأخر بعض التلاميذ وأسباب التعب والكلل الخ ووضعت مقاييس لمعرفة مبلغ نجاح مواد الدراسة العادية وللاستاذ ثورندايك الاستاذ بجامعة كولومبيا فضل السبق في هذا الباب ؟

يتبع

محمد عبد الواحد خلاف
المفتش بالجمعية الخيرية الاسلامية